٩ ـ هرون الواثق بالله: ٢٢٧ ـ ٣٣٢ هـ/ ٨٤١ ـ ٨٤٦ م.

١ ـ خلافته:

تسلم الخلافة أبو جعفر هرون الواثق بالله بن المعتصم بن هرون الرشيد ـ تاسع الخلفاء العباسيين ـ بعد وفاة والده المعتصم. أحسن في أيام خلافته إلى بني عمه الطالبين وبرهم[٥٧]. كما أنه اتبع سياسة أبيه في الإعتماد على الأتراك الذين تزايدت أعدادهم، فشغلوا المناصب الكبيرة في الدولة. حتى أنه ولى قائده التركي «اشناس» السلطة وتوجه بتاج مرصع بالجواهر وذلك في سنة ٢٢٨ هـ/ ٨٤٢ م ومات الواثق سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م.

٢ ـ سياسة الواثق الداخلية:

لم يقع في أيام الواثق من الحوادث المشهورة ما يؤثر[٥٨]. لكن هذا لا يعني أن عهده لم يواجه الثورات الداخلية، ومنها.

أ ـ ثورة القبائل العربية:

ثارت القيسية بدمشق في بداءة عهد الواثق. فأرسل إليهم جيشاً تمكن من الإنتصار عليهم في مرج راهط، وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة. وتمرد بنو سليم ـ أقوى القبائل العربية وأكثرها عدداً ـ على الواثق وعاثوا فساداً في بلاد الحجاز[٥٩] وتطاولوا على الناس في ضواحي المدينة، ونهبوا الأسواق، وقطعوا الطرق. وأوقعوا بجند والي المدينة سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م. فما كان من الواثق إلا أن أرسل إليهم جيشاً بقيادة القائد التركي «بغا الكبير» فأغار هذا الأخير على قرى بني سليم، وقتل منهم نحو الخمسين وأسر مثلهم، وقبض على ألف رجل من الذين ثبت عليهم أعمال الشر والفساد، وحبسهم في سجن المدينة. لكن هؤلاء السجناء حاولوا الفرار من سجنهم بنقب سوره. وما أن رآهم أهل المدينة حتى هجموا نحوهم وألقوا القبض عليهم ثم قتلوهم جميعاً.

بعد القضاء على فتنة بني سليم، انتقل بغا الكبير لإخماد حركة بني مرة المناوئة للخلافة، وقبيل وصوله إليهم فروا من وجهه منتشرين في الصحراء مما جعل جهوده تبوء بالفشل للقضاء عليهم وفرض سلطة الخلافة في وسط شبه الجزيرة العربية وجنوبها.

---

(٥٧) الفخري في الأداب السلطانية ٢٣٦.

(٥٨) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٥٩) تاريخ الطبري ٩ / ١٢٩ ـ ١٣١. والكامل في التاريخ جـ ٥ / ٢٧٠.

وفي سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م كلف الواثق قائده «بغا الكبير» بالخروج لغزو بني نمير[٦٠] في اليمامة بعدما كثر عبثهم وفسادهم، فأسر منهم جماعة عاد بها إلى العاصمة سامراء.

ب ـ نكبة الكتاب:

ذات ليلة سأل الواثق ندماءه عن السبب الذي من أجله نكب الرشيد البرامكة فأجابه أحدهم: ان سبب ذلك هو تبذيرهم الأموال في كل اتجاه. ولم يمض، على ذلك أسبوع حتى نكب الواثق بكتابه[٦١] فعذبهم وصادر أموالهم، لاعتقاده أنهم أساؤوا حفظ الأموال التي عهد إليهم حفظها، فالعمال كانوا يجمعون الثروات الكبيرة بسرعة لعدم وجود رقابة عليهم تحاسبهم.

جـ ـ التعصب للمعتزلة:

تعصب الواثق للمعتزلة شأنه في ذلك شأن والده المعتصم وعمه المأمون. فتشدد في القول بخلق القرآن، مما أثار غضب الرأي العام ضده. علماً بأن الواثق كان لبيباً فطيناً فصيحاً شاعراً، يتشبه بعمه المأمون في حركاته وسكناته[٦٢] كما كان أكثر رواية للشعر العربي من المأمون.

وكان على رأس الساخطين على الواثق، بسبب تعصبه للمعتزلة، أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، الذي أخذ بمبدأ «الأمربالمعروف والنهي عن المنكر» أي أنه أجاز الخروج على الحاكم ان انحرف وجار. وكان أحمد بن نصر الخزامي قد ثار سابقاً على عمه المأمون الذي لم يستطع القضاء عليه لاختفائه. لكن والي بغداد ـ إسحق بن إبراهيم ـ هذه المرة استطاع أن يقبض عليه، ويقدمه للواثق، الذي حاول جاهداً إقناعه على القول بخلق القرآن، في الوقت الذي أبى أحمد بن نصر، وقال: «كلام الله ليس بمخلوق». ولما أصر على كلامه طالب بعض الحاضرين بضرورة قتله. عندها أمسك الواثق بسيفه وضرب عنقه، وهو

---

(٦٠) تاريخ الطبري٩ / ١٤٦ ـ ١٤٨. والكامل في التاريخ جـ ٥ / ٢٧٦.

(٦١) تاريخ الطبري ٩ / ١٢٥.

(٦٢) الفخري في الأداب السلطانية ٢٣٦.

يقول[٦٣]: «إني احتسب خطئي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعهده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها». ثم حمل رأس أحمد بن نصر بعد ذلك إلى بغداد، فنصب بالجانب الشرقي أياماً، والجانب الغربي أياماً. وعندما صلب كتب الواثق ورقة علقت في رأسه نصها: «هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك، دعاه عبدالله الإمام هرون (الواثق) إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه، فأبى إلا المعاندة، فعجله الله إلى ناره، ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة».

٣ ـ سياسته الخارجية:

أهم حدث في سياسة الواثق الخارجية تتمثل في فداء عدد كبير من أسرى المسلمين. ذلك أن الأمبراطور البيزنطي أرسل سنة ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م رسلاً إلى الخليفة الواثق يسألونه: أن يفادي بمن في يده من أسارى المسلمين. فوافق وانتدب لهذه العملية الخادم «خاقان» بعد أن أعد من أسرى البيزنطيين عدداً كبيراً. وتم تبادل الأسرى فوق جسرين على نهر «اللامس»[٦٤] قرب طرطوس كان قد أقامها كل من العرب والبيزنطيين. فكان المسلمون يرسلون البيزنطيين على جسرهم. ويرسل البيزنطيون المسلم على جسرهم إلى أن تم فداء ٤٦٠٠ أسير كان منهم ٦٠٠ من نساء وصبيان.

والجدير بالذكر في هذه العملية أن أسرى المسلمين كانوا يخضعون إلى امتحان في القول «بخلق القرآن... ولا يفدي منهم من لا يقول بأن القرآن مخلوق».

وبوفاة الواثق انتهى العصر العباسي الذهبي ـ العصر العباسي الأول ـ وبدأ عصر آخر في تاريخ هذه الدولة.

---

(٦٣) تاريخ الطبري ٩ / ١٣٥ ـ ١٤٠. والكامل في التاريخ جـ ٥ / ١٧٣. والسيوطي تاريخ الخلفاء ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٦٤) تاريخ الطبري ٩ / ١٤١ ـ ١٤٥. والسيوطي. تاريخ الخلفاء ٣٤١.